تفسير سورةُ الشعراء

من آية (123) إلى آية (140)

اللقاء السابع

اعتمدت السورة في بيان مقصدها وموضوعاتها (والذي هو الدفاع عن القرآن وبيان أنه هو الآية والبيان والمعجزة لأمّة محمد وهو ليس بالشعر ولا بالسحر، وأنه تسلية للرسول -ﷺ- عما يجده من عناد قومه، وبيان أن أكثر الناس لا يؤمنون) .... تحكي السورة عن قصص أنبياء أرسلهم الله إلى أقوامهم فجاؤوهم بالدين والآيات البينات من عند ربهم، فكذبهم أقوامهم فأهلكهم الله، هؤلاء الأنبياء بشر مثلهم تربوا وترعرعوا بينهم، يخافون كخوفهم، ويتصرفون كتصرفاتهم. اختارهم الله وأيدهم بالآيات والمعجزات، وأمرهم بتبليغ رسالته. فلمّا تأكد صدقهم وقوة حجتهم، قابلهم المتكبرون بالتكذيب والاتهام بالسحر والجنون والتهديد بالسجن والقتل والشروع به، فنصر الله رسله وأعز دينه، إلخ... وباختصار تروي السورة قصة تكذيب الإنسان عبر الأجيال بالآيات البينات الداعية إلى الهدى والإيمان.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم)

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿123﴾

(كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ) أي: كذَّبَتْ قبيلةُ عادٍ بجَميعِ رُسُلِ اللهِ. موسوعة التفسير

قال السعدي: (أي: كذَّبت القبيلةُ المسمَّاةُ عادًا، رسولَهم هودًا، وتكذيبُهم له تكذيبٌ لِغَيرِه؛ لاتِّفاقِ الدَّعوةِ).

قال -ﷺ-:"الأنبياءُ إخوةٌ لعَلَّاتٍ؛ أمَّهاتُهم شتَّى ودينُهم واحدٌ". أخرجه أبو داود. أنَّ شَرائعَهم مُتَّفِقةٌ مِن حيثُ الأُصولُ، وإنِ اختَلَفت مِن حيثُ الفُروعُ.

كما قال تعالى: وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ [هود: 59].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿124﴾

(إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ) أي: كذَّبوا هودًا -وهو أخوهم في النَّسَبِ- حينَ قال لهم: ألَا تتَّقون اللهَ، وتحذَرون عِقابَه، فتُوحِّدوه، وتَترُكوا عبادةَ الأصنامِ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ [الأعراف: 65].

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿125﴾

(إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) أي: إنِّي لكم رَسولٌ مِن اللهِ، أمينٌ على وَحيِه الذي بعثَني به إليكم، فأبَلِّغُكم رسالتَه بلا زيادةٍ ولا نَقصٍ. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين: جوازُ وصفِ الإنسانِ بالثَّناءِ على نَفْسِه للمَصلحةِ، وهذا أيضًا وَرَدَ عن النَّبِيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ؛ أنَّه قال: ((أنا سيِّدُ ولدِ آدَمَ يومَ القيامةِ))، وورَدَ أيضًا عنِ الصحابةِ مِثلُ هذا المدحِ في قولِ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه: (لو أعلَمُ أحدًا أعلَمَ مِنّي بكتابِ اللهِ -تَبلُغُه الإبلُ- لَرَكِبتُ إليه)، لكنْ بشرطِ أنْ يكونَ غرضُ الإنسانِ مِن ذلك المصلحةَ.

كما قال تعالى: (وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) [الأعراف: 67-68].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ﴿126﴾

(فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) أي: فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه، وأطيعوني فيما آمُرُكم به، وأنهاكم عنه. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين: (يعني: فلأنِّي رسولٌ أمينٌ افعَلوا ما آمرُكم به مِن التقوى، وأحُثُّكم عليه).

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿127﴾

(وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) أي: وما أطلُبُ منكم على نُصحي لكم أيَّ ثوابٍ وجَزاءٍ. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين: دليلٌ على إخلاصِ الرُّسُلِ للهِ.

(إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) أي: ما أرجو ثَوابي إلَّا مِن الله الخالِقِ الرَّازِقِ، المالِكِ المدَبِّرِ لجميعِ العالَمينَ دونَ غَيرِه. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين: الاحتِسابُ؛ احتسابُ الإنسانِ عَمَلَه على اللهِ، فليس هذا للإدلالِ على اللهِ بهذا العَمَلِ، والمِنَّةِ عليه به، ولكنَّ الاحتسابَ به عليه لرَجاءِ ثوابِه.

كما قال تعالى: يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ [هود: 51].

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ ﴿128﴾

(أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ) أي: قال هودٌ لِقَومِه: أتَبْنونَ بكُلِّ مَكانٍ مُرتَفِعٍ بناءً عاليًا مُرتَفِعًا؛ دَلالةً على قوَّتِكم وشِدَّتِكم، وتتَّخِذونَ ذلك فَخرًا وإظهارًا للقُدرةِ والعَظَمةِ، مِن غيرِ حاجةٍ ونفعٍ حقيقيٍّ يعودُ عليكم. موسوعة التفسير

قال ابن دُرَيْد: (الرِّيعُ: العُلُوُّ من الأرضِ حتى يمتَنِعَ أن يُسْلَكَ).

قال السعدي: إنَّ اتخاذَ المباني الفَخمةِ للفَخرِ والخُيَلاءِ والزِّينةِ، وقَهرَ العبادِ بالجَبَروتِ: مِن الأمورِ المذمومةِ الموروثةِ عن الأُمَمِ الطَّاغيةِ، كما قال اللهُ في قِصَّةِ عادٍ، وإنكارِ هودٍ عليهم.

عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((مرَّ علَيَّ رسولُ اللهِ -ﷺ- ونحن نعالِجُ خُصًّا بيتٌ يُعملُ مِن الخَشبِ والقَصبِ لنا وَهَى، فقال: ما هذا؟ فقُلْنا: خُصٌّ لنا وهَى خرِب أو كاد، فنحن نُصلِحُه، فقال رسولُ اللهِ -ﷺ-: ما أرى الأمرَ إلَّا أعجَلَ مِن ذلك)).

ما أرى الموتَ وَما بَعده مِن القَبرِ والحَشرِ والقِيامةِ إلَّا أسرعَ مِن أنْ يُشيِّدَ الإنسانُ لنفسِه ما يزيدُ عن حاجتِه. وهذا مِن حثِّ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أن يكونَ حِرصُ المؤمنِ باهتمِامه بالآخرةِ أكبرَ وأسرعَ مِن الاهتِمام بالدُّنيا، لا النهيُ المطلقُ في عدمِ التَّشييدِ والبناءِ، وربما يكونُ كلامُ النبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لبيانِ حَقيقةِ الدُّنيا، وأنَّها مهما طالتْ فهي قَصيرةٌ ومنتهيةٌ، ومَصيرُ مَن علَيها معروفٌ إلى الموتِ والقبورِ؛ فإصْلاحُ أمرِ الآخِرةِ أهمُّ وأوْلى من الاشتِغال بأمْرِ الدُّنيا. الدرر السنية

وعن قيسِ بن أبي حازمٍ، قال: (دخَلْنا على خَبَّابٍ نَعودُه، وقد اكتوى سَبْعَ كَيَّاتٍ، فقال: إنَّ أصحابَنا الذينَ سَلَفوا مَضَوا ولم تَنقُصْهم الدُّنْيا، وإنَّا أصَبْنا ما لا نجِدُ له مَوضِعًا إلَّا التُّراب، ولولا أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم نَهانا أن ندعوَ بالموتِ لدَعوتُ به. ثمَّ أتَيْناه مرَّةً أخرى وهو يَبني حائِطًا له، فقال: إنَّ المسلِمَ لَيُؤجَرُ في كُلِّ شَيءٍ يُنفِقُه، إلَّا في شَيءٍ يَجعلُه في هذا التُّرابِ). ومُرادُ خَبَّابٍ رضِيَ اللهُ عنه البُنيانُ الزَّائدُ على الحاجةِ، أو كان من بابِ المفاخَرةِ والمطاوَلةِ، فذلِك الذي لا يُؤجَرُ عليه.

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ التابِعيُّ قَيسُ بنُ أبي حازمٍ أنَّهم دخلوا يومًا على خَبَّاب بن الأرَتِّ رَضِيَ اللهُ عنه وقدْ نالَه من المرضِ ما ناله، واكْتَوَى في جسَدِه سَبعَ كَيَّاتٍ بالنَّارِ، والكيُّ كان علاجًا شائعًا عندهم، فلمَّا دخَلوا عليه في مَرضِه ذكر لهم أنَّ إخوانَه من الصَّحابةَ الذين ماتوا في حياةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قبْلَ اتِّساعِ الفتوحاتِ وزيادةِ المال، لم تَنقُصْ أُجورُهم شيئًا؛ لأنَّ الدُّنيا لم تُفتَحْ عليهم كما فُتِحَتْ على الذين شَهِدوا الفُتوحاتِ، وأنَّه ومن بَقِيَ من أصحابِه قد نالهم مِن الغِنى الكثيرُ، وفُتحت عليهم زهْرةُ الدُّنيا حتى لم يَجِدوا له مَصْرِفًا إلَّا وضْعَه في البُنيانِ والعِمارةِ.

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ ﴿129﴾

(وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) أي: وتَصنَعونَ بِناياتٍ مُحكَمةً كأنَّكم تَخلُدونَ في الدُّنيا. موسوعة التفسير

قال بعض العلماء: كل " لعل " في القرآن فهي للتعليل إلا التي في سورة الشعراء {وتتّخذون مصانع لعلّكُم تخلُدُون} فهي بمعنى: كأنكم تخلدون.

قال ابنُ جرير: (إنَّ المصانِعَ جمعُ مَصنعةٍ، والعربُ تُسمِّي كلَّ بناءٍ مَصنعةً، وجائزٌ أن يكونَ ذلك البناءُ كان قصورًا وحُصونًا مُشيَّدةً، وجائزٌ أن يكونَ كان مآخِذَ للماءِ...)

قال ابنُ قُتَيْبةَ: (وكأنَّ المعنى: أنَّهم كانوا يَستوثِقونَ في البناءِ والحصونِ، ويذهبون إلى أنَّها تُحَصِّنُهم مِن أقدارِ الله عزَّ وجلَّ).

﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ ﴿130﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال البقاعي: لَمَّا بَيَّنَ أنَّ عمَلَهم عمَلُ مَن لا يترقَّبُ الموتَ؛ أتبَعَه ما يدُلُّ على أنَّهم لا يَظنُّونَ الجزاءَ، فقال

(وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ) أي: وإذا أخَذْتُم النَّاسَ وقَهَرْتُموهم، فإنَّكم تُفرِطون في أذيَّتِهم عُدوانًا وظُلمًا، كأنْ يَقتُلوهم، أو يَضرِبوهم بقَسوةٍ بغيرِ حَقٍّ. موسوعة التفسير

قال الرازي: حاصِلُ الأمرِ في هذه الأمورِ الثلاثةِ: أنَّ اتِّخاذَ الأبنيةِ العاليةِ يدُلُّ على حُبِّ العُلوِّ، واتخاذ المصانعِ يدُلُّ على حُبِّ البقاءِ، والجَبَّاريَّةَ تدُلُّ على حُبِّ التفَرُّدِ بالعُلوِّ، فيَرجِعُ الحاصِلُ إلى أنَّهم أحَبُّوا العلوَّ، وبقاءَ العلوِّ، والتفرُّدَ بالعلوِّ، وهذه صفاتُ الإلهيَّةِ، وهي ممتنعةُ الحصولِ للعبدِ؛ فدلَّ ذلك على أنَّ حُبَّ الدنيا قد استولى عليهم بحيثُ استغرَقوا فيه، وخرَجوا عن حَدِّ العبوديَّةِ، وحاموا حولَ ادِّعاءِ الرُّبوبيَّةِ، وكلُّ ذلك يُنَبِّهُ على أنَّ حُبَّ الدُّنيا رأسُ كلِّ خطيئةٍ، وعنوانُ كلِّ كُفرٍ ومَعصيةٍ.

كما قال تعالى: فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ [فصلت: 15].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ﴿131﴾

(فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) أي: فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه، وأطيعوني فيما آمُرُكم به وأنهاكم عنه؛ فقد بانَ لكم صِدقي. موسوعة التفسير

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿132﴾

(وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ) أي: واتَّقوا اللهَ الذي أعطاكم ما تعلَمونَ مِن النِّعَمِ والخَيراتِ المتتابِعةِ. موسوعة التفسير

قال البقاعي: (بِمَا تَعْلَمُونَ أي: ليس فيه نوعُ خَفاءٍ حتى تُعذَروا في الغَفلةِ عن تقييدِه بالشُّكرِ). موسوعة التفسير

﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ ﴿133﴾

(أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ) أي: أعطاكم اللهُ ما تَعلمونَ مِن المواشي، والأبناءِ الذُّكورِ. موسوعة التفسير

قال السعدي: (أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ مِن إبلٍ وبقَرٍ وغَنَمٍ).

﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿134﴾

(وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) أي: وأعطاكم اللهُ ما تعلمون مِنَ البساتينِ، وعُيونِ الماءِ. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين: (فالعيونُ هي التي تنبُعُ مِن الأرضِ، والأنهارُ كما هو معروفٌ لا تنبُعُ مِن الأرضِ، وإنَّما تأتي مِن الأمطارِ والسيولِ وغيرِها).

قال ابن عثيمين: أنَّ الدَّاعِيةَ ينبغي له أنْ يُذَكِّرَ المدعوَّ بنعَمِ اللهِ عليه، والحكمةُ مِن تذكيرِه بالنِّعَمِ: أنَّ النِّعَمَ تستوجِبُ الشكرَ، وطاعةَ الرحمنِ، وتَضمَنُ ذلك عقلًا؛ لأنَّ مَن أَحسَنَ إليك، فإنَّه مِن المستحسَنِ عقلًا أنْ تُطيعَه بما يأمُرُك به.

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿135﴾

(إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) أي: إنِّي أخافُ أن يُصيبَكم مِنَ الله عذابُ يومٍ عظيمِ الأهوالِ، إنْ أصرَرْتُم على الكُفرِ والتَّكذيبِ. موسوعة التفسير

قال ابن عاشور: (والعذابُ يجوزُ أن يريدَ به عذابًا في الدُّنيا توعَّدهم اللهُ به على لسانِه، ويجوزُ أن يريدَ به عذابَ يومِ القيامةِ).

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ ﴿136﴾

(قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ) أي: قال قَومُ هودٍ لِنبيِّهم: يستوي عندَنا وَعْظُك لنا وتَركُك له، فلن نؤمِنَ بك، ولن نترُكَ دينَنا. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين: الإنسانُ قد لا يَكترِثُ بالواعِظِ؛ لكَوْنِه مِن غيرِ أهلِه، وقد لا يَكترِثُ به عِنادًا، وهؤلاء لَمَّا قالوا: أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ دلَّ ذلك على أنَّهم مُعانِدونَ

كما قال تعالى: قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آَلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ [هود: 53].

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿137﴾

(إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) أي: ما هذا الذي نحن عليه إلَّا عادةُ آبائِنا الأوَّلين، ونحنُ تابعونَ لهم، سالِكونَ وراءَهم. موسوعة التفسير

وقال السعدي: (أي: هذه الأحوالُ والنِّعَمُ ونحوُ ذلك عادةُ الأوَّلينَ؛ تارةً يَستغنون، وتارةً يَفتَقِرون، وهذه أحوالُ الدَّهرِ، لا أنَّ هذه مِحَنٌ ومِنَحٌ مِن الله تعالى، وابتلاءٌ لعبادِه).

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ ﴿138﴾

(وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) أي: ولن يُعَذِّبَنا اللهُ في الدُّنيا، ولن يبعَثَنا بعدَ مَوتِنا لِيُعذِّبَنا في الآخرةِ. موسوعة التفسير

قال السعدي: (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ وهذا إنكارٌ منهم للبعثِ، أو تنزُّلٌ مع نبيِّهم وتهكُّمٌ به، إنَّا على فرضِ أنَّنا نُبعَثُ، فإنَّنا كما أُدِرَّتْ علينا النِّعمُ في الدُّنيا، كذلك لا تَزالُ مستمرَّةً علينا إذا بُعِثْنا).

قال القصاب: دليلٌ على أنَّ كلَّ مَن عَمِيَ عن الحُجَّةِ، وترَك تَبَصُّرَ البَيانِ، وعوَّلَ على عَقْلِ غيرِه: أهلَكَه؛ إذْ لا يُعلَمُ أحَدٌ مِمَّن هَلَكَ مِن القرونِ الخاليةِ إلَّا صادًّا عن بيانِ الرُّسُلِ، مُعَوِّلًا على الآباءِ الماضِينَ، واختيارِ عقولِهم على عقولِ أنفُسِهم، ألَا ترى أنَّ عادًا أهملوا مَوعِظةَ هودٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وترَكوا الإصغاءَ إليه مُطْمَئِنِّينَ إلى ما كان آباؤُهم يقولونَ؟! ويأمُلون أنَّهم إذا ماتوا لم يُبعَثوا، ولم يُحاسَبوا!

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿139﴾

(فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ) أي: فكذَّب المشرِكون مِن قَومِ عادٍ رَسولَهم هودًا، فأهلَكْناهم في الدُّنيا. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين: أنَّ التكذيبَ سببٌ للإهلاكِ، فينبغي للمؤمنِ الذي يَعتبرُ بقَصصِ الأنبياءِ السابقينَ أنْ يَحذرَ مِن هذا التكذيبِ؛ لأنَّه إنْ فعَلَ أُهلِكَ.

كما قال تعالى: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ [فصلت: 16].

وقال سُبحانَه: وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ [الحاقة: 6 - 8].

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) أي: إنَّ في إهلاكِ قَومِ هُودٍ لَعِظةً وعِبرةً ودَلالةً واضِحةً على صِدقِ رسولِه. موسوعة التفسير

(وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) أي: ولم يكُنْ أكثَرُ قَومِ هُودٍ مُؤمِنينَ حقًّا، معَ وجودِ الآياتِ المقتَضيةِ لإيمانِهم. موسوعة التفسير

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿140﴾

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) أي: وإنَّ رَبَّك -يا مُحَمَّدُ- لهو العزيزُ القاهِرُ الغالِبُ، المنتَقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يعاجِلُهم بعَذابِه، ومِن رحمتِه أنَّه يُرسِلُ رُسُلًا، ويُنزِلُ معهم ما يُبَيِّنُ به ما يُرضيه وما يُسخِطُه، فلا يُهلِكُ قومًا إلَّا بعد إعذارِهم، ومِن رحمتِه أنَّه يُنجِّي أتْباعَ رُسُلِه. موسوعة التفسير

سنة الله في الكون: كانت سنّة الله -تعالى- في كونه أن يرسل للبشر كلّ فترةٍ من الزمن نبياً لهم؛ ليرشدهم إلى طريق توحيد الله سبحانه، ويرغّبهم في نعيم الله -تعالى- وعطائه، ويخوّفهم من عذابه إن حادوا عن الطريق وكفروا به، لكنّ الله -تعالى- سبق في علمه بأنّ قليلاً من الناس سيؤمنون ويلتزمون بنصائح نبيّهم؛ ذلك بأنّ الإنسان في طبعه يغلب عليه الكسل، ويغترّ بنفسه وقوّته، حيث قال الله تعالى: (مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)، وكما كانت سنّة الله -تعالى- في إرسال الأنبياء مُبشّرين ومنذرين، جرت سنّته كذلك على إلحاق العذاب الشديد بمَن كفر بعد أن يمهلهم الوقت للرجوع والإنابة، وكان قوم عاد من الأقوام التي أُرسل إليها نبيّاً فكفروا به وأنكروا قوله، واغترّوا بقوّتهم وعمرانهم والنعيم من حولهم، فأهلكهم الله -تعالى- وأنهى نسلهم.

قصة قوم عاد: سكن قوم عاد في اليمن وتحديداً في الأحقاف؛ وهو جبل الرمل، حيث متّعهم الله -سبحانه- بقوّةٍ في الأبدان، وبسط لهم في المال الشيء الكثير، حتى أصبحوا أصحاب قوّة ماديّة وبدنيّة، حيث كانوا أصحاب أكبر قوّة عسكريّة في زمانهم، وكانت لهم الخلافة في الأرض من بعد قوم نوح عليه السلام، وحينما دعاهم هود -عليه السلام- أخبرهم بأنّ قوّتهم لن تغنيَ عنهم من الله شيئاً، فقال الله تعالى:

(وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ)، وذكر الله -تعالى- في كتابه صور قوّتهم وعمرانهم في عدّة آياتٍ؛ منها قول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ*إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ*الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ)، وقال: (أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ*وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)، وقال أيضاً: (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ)، حيث كانت قوّة قوم عاد لا تضاهيها أي قوّة في ذلك الزمان، وامتازوا أيضاً بمتاع الحياة الذي انتشر بسبب الرخاء والقوة والقدرة، وكذلك تربية المواشي، وبناء المصانع والعمران، والشعور بالحضارة العظيمة والسيطرة على جميع مناحي الحياة، حيث كان كلّ ذلك ابتلاءً لهم؛ ليعلم الله -تعالى- من يُرجع الفضل والقوّة إليه، ومن يغترّ بعظمته وقدرته وينسب ذلك إلى نفسه.

☒أُرسل هود -عليه السلام- إلى قومه برسالة التوحيد لله تعالى، وداعياً لهم بشكر النعم وردّ فضلها إلى الله، وقال العلماء إنّ هوداً -عليه السلام- لم يذكر له معجزة في القرآن، إلا أنّ معجزته قد تكون ظهوره بين قومه، متحدّياً لهم، حيث قال الله -تعالى- في هود عليه السلام: (فكيدوني جَميعًا ثُمَّ لا تُنظِرونِ)، فرغم كلّ القوّة التي كانت عند قوم عاد إلّا أنّه لم يستطع أحد أن يؤذي هود -عليه السلام- بأي بسوء بالرغم من أنّه كان منفرداً يواجه قوماً بأكمله، وقال العالم الألوسي في تفسير ذلك: أيّاً ما كان فذاك من أعظم المعجزات، وبناءً على ذلك فهود -عليه السلام- كان منفرداً بين جمع من العتاة الجبابرة العطاش إلى إراقة دمه، وقد خاطبهم بتوحيد الله -تعالى- وحقّرهم وآلهتهم وهيّجهم على ما هيّجهم، فلم يستطيعوا مباشرة شيء ممّا كلّفوه، وظهر عجزهم عن ذلك ظهوراً بيّناً.

☒كفر قوم عاد لم يستجب قوم عاد لأمر نبيّهم هود عليه السلام، بل بادروه بالاتهامات والشتائم والاستهزاء، فقال الله تعالى: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)، فكان ذلك من سوء أدبهم مع الله -تعالى- ونبيّه الكريم، ورُوي أنّ قوم عاد كانوا أوّل من عبد الأصنام بعد قوم نوح عليه السلام، فقد مكثت الأرض عشرة قرون بين آدم ونوح -عليهما السلام- على توحيد الله تعالى، ثمّ جاء قوم نوح فعبدوا الأصنام فأهلكهم الله جميعاً، وأبقى المؤمنين الموحّدين، ثمّ جاء قوم عاد بعبادة الأصنام، وتبجّحوا بذلك، وسخروا من نبيّهم الذي دعاهم إلى التوحيد وترك الشرك بالله، حيث قابل هود -عليه السلام- التكذيب والاستهزاء بالإحسان واللين في الدعوة، والعمل على تذكير وإرشاد قومه إلى طريق الهداية؛ لأنّ الصبر والاحتساب من سمات الرسل عليهم السلام، قال الله تعالى: (أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً).

☒هلاك قوم عاد إنّ عقوبة الله -تعالى- تكون للظالمين بما يناسب ظلمهم وإعراضهم عن دعوة نبيّهم، فقد كان قوم عاد قوماً جبّارين وأقوياء، وأصحاب بسطة في العمران والأبدان، وبعد أن كفروا بنعم الله -تعالى- عليهم عذّبهم الله بسبب ذلك، حيث قال الله تعالى: (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً)، وكانت عاقبة أمرهم بأن سلّط

الله عليهم الريح، قال الله تعالى: (سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ*فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ)، فكان هلاك كلّ قوّتهم وعظمتهم بأبسط الأشياء وأضعفها، وهو الهواء الذي يتنفسونه ولا يكادون يكترثون به ويشعرون به، حيث سُلّط عليهم الريح الذي استمرّ ثمانية أيام، حتى اقتُلعت بيوتهم وحصونهم، فكان الواحد منهم يُرفع إلى السماء ثمّ يسقط أرضاً، فينكسر رأسه، وقد حملت الرّيح بعضهم فألقته في البحر، فلم يبق أي أحد من الكفار والجاحدين بالله تعالى، قال الله تعالى: (فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ).